السينما اللبنانية في الطليعة برغم الأزمات!

14-03-2022 | 00:00 **المصدر:** "النهار"هوفيك حبشيان

"دفاتر مايا" لجوانا حاجي توما وخليل جريج.

كان العام الماضي أحد أبرز الأعوام للسينما اللبنانية التي شهدت نشاطاً غير اعتيادي وطفرة نادرة. بالرغم من الأزمات السياسية والاقتصادية والمعيشية التي تعصف بالبلاد، قدّم السينمائيون بعضاً من أفضل إنجازاتهم. لم يرو هؤلاء واقع بلادهم الآني، ذلك أن السينما تحتاج إلى وقت ليستوعب هول الحدث واتخاذ موقف منه. لكن أن يضع سينمائي كاميراته في مدينة تنزف كما حال بيروت خصوصاً بعد تفجير المرفأ في صيف ٢٠٢٠، فهذا يكفي كي تصبح الصورة، أيّ صورة، مثقلة بالمعاني والدلالات. علّمتنا الأفلام أننا نحتاج أحياناً إلى العودة بضع سنوات إلى الخلف، كي نقفز في الحاضر. وفي بلدان ومجتمعات تتكرر فيها المآسي نفسها بعناوين وأسماء وأشكال مختلفة، ليس الحاضر سوى صدى للماضي. ما لا يقل عن دزينة أفلام عُرضت في ٢٠٢١، نتناول في الآتي تسعة منها. هذه الأفلام شاركت في أهم المهرجانات الدولية: برلين، كانّ، لوكارنو، البندقية وغيرها، قبل أن تستعيدها المهرجانات العربية في نهاية العام الماضي. هذا الانتشار دليل إضافي على حيوية #السينما اللبنانية الشابة التي يمكن المراهنة عليها.

"أعنف حبّ" لإيليان الراهب

آخر عمل للمخرجة التي اشتهرت بالفيلم الوثائقي الجيد الصنع وقد عُرض في مهرجان برلين ٢٠٢١ الذي عُقد افتراضياً. إلى اليوم، لم يخرج في الصالات اللبنانية بالرغم من أنه لفّ العالم أجمع، وفاز بعدد من الجوائز. عندما نشاهد هذا العمل الصادم والجريء ندرك حساسيته. بطل الفيلم المضاد شخصية استثنائية: هو ميغيل اللبناني المثلي الذي هاجر إلى إسبانيا بعدما شارك في الحرب اللبنانية. تنبش الراهب برفقته أشباح الماضي في سلسلة لقاءات قاسية وطريفة تكشف الوجه الحقيقي لإنسان معذّب يعيش صراعاً مع محيطه بحثاً عن هويته في بلاد غريبة. تصوّره الراهب بحنان كبير، ليس من دون محاسبته، رابطةً كما عادتها العام بالخاص ببراعة كبيرة.

"البحر أمامكم" لإيلي داغر

أول عمل روائي طويل لداغر الذي كان صنع مفاجأة عام ٢٠١٥ من خلال فوزه بـ"سعفة" الفيلم القصير عن "موج ٩٨". مع هذا الفيلم عاد إلى مهرجان كانّ الأخير. الممثّلة الرائعة منال عيسى تؤدي دور جنى التي تعود إلى وطنها بعد فترة من الكفاح في الخارج من أجل حياة أفضل. لكنها صامتة ولا تريد التحدّث كثيراً عن تجربتها الماضية. هل كانت تجربة فاشلة؟ ولماذا عادت؟ قرر داغر ألا يشربنا الأجوبة بالملعقة، بل أن نأخذ لقمة ونشتهي اللقمة التالية. عمل صعب، قاتم، غير تجاري، استشفّ فيه المخرج المصير الذي كان ينتظر لبنان بعد تفجير مرفأ بيروت، فرسم صورة للشباب اللبناني التائه في مدينة بيروت التي تروي حكاية أخرى من حكايات استحالة العيش.

"كوستا برافا" لمونيا عقل

ليس فيلماً مهماً لكن عرضه في "موسترا" البندقية في دورتها الأخيرة إنجاز للمخرجة الشابة، فما بالك إذا نال استحسان جمهور المهرجان الإيطالي العريق ونال جوائز في عدد من التظاهرات السينمائية. الحكاية عن عائلة لبنانية غادرت بيروت لتستقر في الأعالي هرباً من التلوّث والأحوال التي تمر بها العاصمة. السيناريو، المتداعي من كلّ أطرافه، يجرّه الفيلم خلفه طوال ما يُقارب الساعتين، من دون أن يطرح تساؤلات كثيرة حول جوهر الموضوع، ذلك أنه مشغول بأمور جانبية ومنبهر بفكرته عن نفسه. فيلم حاد في مقاربته، بخيل في بثّه للمشاعر، مرتبك في بنائه الدرامي.

"دفاتر مايا" لجوانا حاجي توما وخليل جريج

واحد من أجمل الأفلام اللبنانية في السنوات الأخيرة. يبدأ كلّ شيء بطرد يصل إلى مايا في بيتها المونتريالي عشية عيد الميلاد، أمّها وبنتها تتسلّمان الطرد عنها. تبدي الأولى الكثير من التأفّف والانزعاج لكونها تعلم ما في داخله، وتظهر الثانية فضولاً وحماسة تجاه صندوق الأسرار. في البدء، تقترح الجدة إخفاء الطرد وإعطاءه لمايا في ثاني أيام العيد، لكن تطوّر الأحداث سيدعها تعثر على الطرد في الليلة نفسها، وستعرف كذلك أن صديقتها التي أرسلته إليها قد تُوفيت قبل فترة. كلّ واحدة من السيدات الثلاث ستتعامل بطريقة مختلفة مع محتوى "الطرد – الأمانة" الذي يبدو كدخيل في

البيت. يتفرع "دفاتر مايا" من هذه الأجيال النسائية الثلاثة في نص شديد الولوج في الحكاية و"حبكوي" إلى درجة عالية. إنه عموماً فيلم عن كيف تلقي التجربة الشخصية ظلالها على مَن سيأتي من بعدنا. (الفيلم يُعرض حالياً في الصالات البيروتية).

"الوادي" لغسان سلهب

عُرض الفيلم في مهرجان لوكارنو وهو الجزء الأخير من ثلاثية سلهب التي استهلها بـ"الجبل" وتابعها بـ"الوادي". هكذا يعرّفه مخرج "أطلال": قصّة رجل وامرأة كانا على وشك مغادرة مطعم في قلب الجبال اللبنانية في يوم خريفي، حين تناهت إلى مسمعهما أصوات طائرات حربية تحلّق على ارتفاع منخفض، وبعثت في نفسيهما شعوراً بعودة الحرب. فتغيب المرأة عن أنظار شريكها الذي يشرع بالبحث عنها ليعثر عليها في الجانب الآخر من الجبل، فيغرقان في رحلة داخل أعماق الطبيعة بهشاشة الخيط الرفيع الذي يربطهما. الفيلم على الورق شيء، وعلى الشاشة شيءٌ آخر. إنه نصّ بصري طويل لا يقول شيئاً، يدور ويلفّ بلا طائل. كتب الناقد السابق والمخرج محمد سويد عن الفيلم قائلاً: "يلقي غسان سلهب بذرة في غابة تلتفّ على نفسها وتتناسل تربة وشجراً ودروباً ومتاهات تلتحف الضباب. بذرة يمكنها أن تكون فكرة عن حب مستحيل أو حكاية لقاء طلبه رجل واختارت يومه امرأة. هو يعبّر عمّا لم يفصح عنه قبلًا وهي تصغي ولا تجد طائلًا من استئناف ما فات وانتهى".

"فلتلك خلص" لإيلي خليفة

كوميديا لإيلي خليفة، المخرج الذي اشتهر بالأفلام القصيرة قبل أن يقدّم عملين روائيين طويلين بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٥. في غياب الدعم الرسمي، ابتكر خليفة الحلّ المغاير لإنجاز سينما يرتاح لها وتعبّر عن طموحه الفنّي، الطموح الذي يهدف إلى نسج علاقة جديدة بالسينما المستقلة. فبدلاً من تصوير الفيلم على امتداد ٣٠ يوماً متتالية، قرّر إنجازه في غضون ٣٠ شهراً، أي يوم تصوير مرة في الشهر. هذا الأسلوب سمح له بأن "يكتب الفيلم بالكاميرا" كما صرّح لـ"النهار". إلى الآن، لم تتسنَّ لنا مشاهدة الفيلم الذي كتب عنه عماد موسى في "نداء الوطن": "من الصعوبة بمكان تحديد هوية الفيلم أو نوعه. هو خليط من الكوميديا السوداء، وسينما المؤلف، والسينما التجريبية والبوليسية والاختبارية ومن التراكيب الملتبسة الجامعة بين السرد، التي ترضي بعض الأمزجة وبعض النقّاد".

"ع أمل تجي" لجورج بيتر بربري

فيلم آخر عُرض في مهرجان برلين العام الماضي واستُعيد في مهرجانات مثل تسالونيك والقاهرة ونانت وغيرها. صوّر بربري في أول تجربة إخراجية له أربعة شبّان من البترون، يصطحب أحدهم رفاقه لخوض تجربتهم الجنسية الأولى مع مومس. يرافق الفيلم المراهقين الأربعة في رحلة تتخللها أحداث مفاجئة وشخصيات يتابعها المُشاهد من زاوية إتيان، وهو أحد الشبّان الأربعة. الفيلم حميمي وشديد الاختلاف عن كلّ ما يُمكن ان نراه في السينما العربية. صادق إلى حدّ بعيد، ومتبلور نصّاً وتمثيلاً وصورة. نكتشف من خلاله تفاصيل بيئة مسيحية من خارج بيروت حضورها نادر في أفلامنا ولها خصوصيتها، فيما موضوع الجنس في سنّ معينة الذي يعالجه الفيلم صالح لكلّ زمان ومكان. أما التمثيل فهو من النقاط القوية في الفيلم. (يُعرض قريباً في الصالات البيروتية).

"فياسكو" لنيكولا خوري

لم نشاهد الفيلم الذي نال جائزة صلاح أبو سيف في مهرجان القاهرة الأخير، لذا نكتفي بنقل ما كتبه عنه شريف صالح في "النهار العربي": "لخّص خوري نحو ٣٠ عاماً من عمر "أسرة لبنانية" وكثفها في لقطات. وهو تلخيص لا يتعسّف نسقاً محدداً، ولا يعنيه إيصال فكرة بعينها. أشبه بدفتر يوميات، نوثق فيه لحظات تعنينا نحن، ولا يُشترط أن تمثل أيّ أهمية للآخرين. لحظات محبوسة ومنسيّة داخل كاميرا. أعاد خوري تقديمها بنفس عفويتها، ومزجها مع حوارات "عفوية" للأسرة في الزمن الراهن، التقطها عمداً داخل جدران البيت وفي محيط حركة الأسرة".

"بيروت هولدم" لميشال كمون

عمل في غاية الطموح لمخرج "فلافل" في ثاني تجربة روائية طويلة له. مرة جديدة، هذا فيلم يحمل فوق ظهره أعباءً كثيرة، ولكنه لا يقع تحت وطأة أيّ منها، لا بل يصبح هذا تحدّيه. بالرغم من بعض الملاحظات هنا وهناك على السيناريو والايقاع، من الواجب الاعتراف بأننا أمام نصّ سينمائي شديد الخصوصية، ينطوي على فكرة مبتكرة وتمثيل جماعي ممتاز وحبكة تخرج من التيمات التقليدية للسينما اللبنانية. تدور الحكاية في بيروت، وتنطلق مع عودة مقامر سابق إلى حيّه الشعبي بعد إطلاق سراحه من السجن، حاملاً ذنب وفاة شقيقه وقصّة حب فاشلة، ليجد نفسه مضطراً إلى المشاركة في عملية نصب أخيرة للملمة حياته من جديد. لنا عودة بالتفصيل إلى هذا الفيلم عند خروجه في الصالات المحلية.

Share Save